التشكيلية العُمانية طاهرة فداء:

استلهم الادب في اعمالي التركيبية وافكر بالاتجاه الى عروض الفيديو

مسقط «القدس العربي»

من أنور بدر:

تبدو مسقط كمدينة مسكونة بهوس الفن التشكيلي، شابات وشباب يخوضون المغامرة للتعبير عن أنفسهم في مجتمع يتحرك بسرعة، وهم لا يتحركون معه فقط، بل ربما يشكلون عجلة القيادة فيه. بعضهم درس في الخارج، وبعضهم تابع دورات في مقر الجمعية العمانية للفنون التشكيلية، وأكثرهم يتكئ على موهبة حقيقية ويسعى في كل الاتجاهات من أجل تطويرها. وربما تشكل الفنانة طاهرة فداء نموذجاً لهذه الموهبة الطامحة لتحقيق ذاتها وتطويرها باستمرار، تقول عن البدايات:

■ كانت والدتي مدرسة تربية أسرية، وتدرّس في المركز النسوي التابع للشؤون الاجتماعية والعمل، تعطي دروسها للأمهات غير العاملات، تساعدهنّ في اكتساب مهنة أو حرفة، وعندما كانت تصحبني معها وأنا بنت أربع سنوات، كنت أتابع هؤلاء الأمهات يرسمن على القماش أو يقصصن منه ليصنعوا أشياءهن الجميلة، والتي حاولت فيما بعد تقليدها.

في الصف الخامس الابتدائي وبمساعدة والدتي الكريمة، اشتركت في مسابقة على مستوى مجلس التعاون لدول الخليج، وأخذت الجائزة الثالثة على عمل تطريز على القماش. كما أخذت جائزة على مستوى محافظات مسقط في الرسم على الزجاج وأنا في الثالث الاعدادي.

بعدما أنهيت دراستي واشتغلت مدرسة للغة الانكليزية لم أنقطع عن هذه الهوايات اذ كنت رئيسة جمعية النشاط الاجتماعي والذي يتضمن التصوير الضوئي وصناعة وسائل الايضاح وتنسيق جريدة الحائط في المدرسة، كما حافظت على هوايتي في تصنيع الزهور من الأقمشة والرسم على الفخار وصناعة المزهريات وكذلك التطريز على الشالات والعبي وحتى التيشيرتات، وقد شاركت من خلال هذه الممارسات في ست أو سبع أسواق خيرية.

كما فزنا في أحد النشاطات المسرحية لمدرسة مدينة قابوس على مدارس السلطنة مجتمعة، وقدم هذا النشاط في الاذاعة والتلفزيون. حتى طلب إليّ الانتقال من تدريس اللغة الانكليزية الى تدريس التربية الفنية.

■ ولكن كيف انتقلت الفنانة طاهرة فداء من تلك الممارسات ذات الطابع الحرفي الى ممارسة الرسم كفن تشكيلي؟

■ في عام /1996/ فكرت بالانضمام الى كلية أو جامعة لتطوير موهبتي الفنية والحصول على شهادة أكاديمية، رغم ايماني أنّ الموهبة هي العنصر الأساسي في العملية الابداعية، لكن الدراسة الأكاديمية تساهم في صقل هذه الموهبة. وهكذا اتبعت دراسة لمدة ثلاث سنوات، درست خلالها /14/ وحدة، اثنتان منهم اختياريتان، وقد درسنا التظليل والألوان الزيتية والمائية وكذلك الحبر الصيني وقلم الرصاص، اضافة للتشريح وحركة الأجساد. وقد اخترت مادتي عمل الاطارات وكيفيّة شد اللوحة اضافة لكيفيّة بيع اللوحات كوحدات اختيارية.

المادة الأصعب بالنسبة لي كانت مادة التشريح، فحاولت الحصول على دروس خاصة من الأساتذة سعود الحنيني وعبد الله الحنيني.

كما أخذت دورة خاصة ضمن أربع طلاب عند مدرّس ايراني، محمود بدر كان يدرس في الجمعية أيضاً، درسنا كيفيّة تحضير الألوان الزيتية، كيف نطحنها ونستعملها دون أن نشتريها جاهزة، كما درسنا الرسم بواسطة أقلام الرصاص الملونة، وأول معرض اشتركت فيه كان معرض الشباب في الجمعية العمانية سنة /1997/ وأخذت عليه جائزة. وثاني مشاركة لي كانت في السنة التالية في البحرين وأخذت جائزة عليها أيضاً.

■ كيف انتقلت طاهرة فداء من الرسم الواقعي الى الرسم التجريدي؟

■ بعد عدة مشاركات في معارض متباينة داخل السلطنة وخارجها، ذهبنا أربع فنانين وأربع فنانات في سنة /2000/ الى لبنان في دورة للفن المعاصر التجريدي، وهي عبارة عن ورشة عمل في الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة في الزلقا، وهناك أقمنا معرضاً مشتركاً لنا في نهاية الدورة ثم نقلناه الى السلطنة.

ومن المعارض المتميزة على هذا الصعيد كان معرض مشترك لثمانية فنانين، واشتركت في معرض آخر مع فنانات من السعودية والسلطنة، ثم أقمت معرضا مشتركا مع فنان سعودي وربما يكون معرض 4x1 الذي أقمناه هذا العام في الجمعيّة العمانية للفنون التشكيلية نقلة نوعيّة في هذه المسيرة. اذ اشتركت مع ثلاث فنانات متميزات على مستوى السلطنة فمريم عبد الكريم فنانة قديمة ولم تتوقف عند لحظة معينة، بل تركت بيتها وذهبت لأستراليا حيث حصلت على ماجستير في الفن، وهي مديرة قسم الفنانات في الجمعية، وقد استطاعت أن تصنع اسماً متميزاً في تجربتها، بالاضافة للفنانة سارة وايت معها ماجستير من بريطانيا وناقدة متميزة، كما تدير متحف الزبير للفن، وعندها ذائقة بصرية متميزة. أما الفنانة راديكاها همالاي فهي متأثرة بالفن الهندي القديم الباحث عن سرّ الحياة خارج تفاصيل الواقع.

وفي بادرة لأول مرة تتم في السلطنة أنجز رائد الحركة التشكيلية «أنور سونيا» فيلم فيديو مدمجا لأعمالنا الأربعة، وعرض في قاعة العرض الصغرى بالتوازي مع افتتاح المعرض. وقد لاقى معرض 4x1 احتفاءً جميلاً من الجمهور والنقاد بآنٍ معاً. وربما أكون قد بلورت من خلال مشاركتي في هذا المعرض أسلوبا خاصا بي ومتميزا.

■ طاهرة فداء أعادت انتاج لوحات من الأدب والسينما؟

■ في أعمال سابقة لي حاولت التعبير عن هموم سياسية واقعية، ففي ثلاثية لي عن الحرب العراقية، حاولت تناول الموضوع من الجانب المعنوي والمادي والحدث التاريخي، وكان عنوان احدى لوحات الثلاثية «11 فهرنهارت» المأخوذ عن فيلم «مايكل مور»، وقد ساعد العنوان كثيراً في توصيل المضمون الذي أشادت به الدكتورة باتريشا وبطريقة التناول، أما الناقد والفنان «فؤاد سليم» فقال: «لو كانت هذه اللوحة معروضة أمامي لمنحتها جائزة تقديرية، ونصحني بالاهتمام بالجانب الصوفي في الأدب.

وكان لي تجربة من أربع لوحات عن قصة امرأة انكليزية تعمل في احدى دور النشر، وتحصل بالصدفة على قنينة مرمية على شاطئ البحر وبداخلها رسالة، وعندما حاولت فك رموز هذه الرسالة وتتبع دلالاتها اكتشفت أنها تعبر عن داخلها المغلق هي، وكيف بدأت تتفاعل معها وتتغير، بالاضافة للتعبير عن الحدث ضمن القصة، وقد استخدمت معطيات بحرية كالقواقع والرمل مع توظيف حروف من اللغات القديمة في تشكيل ثلاثي الأبعاد وبتقنيات خاصة جداً. وللملاحظة فهذه القصة قد أنتجت فيلماً أميركياً بعنوان «الرسالة الضائعة».

هذه الأعمال شجعتني للبحث ضمن الأدب، نفذت عملا تركيبيا كاملا لقصيدة نزار قباني «كلمات ليست كالكلمات» حيث يرى الكل كلمات لكنه لا يفهم منها شيئاً، وقدمت مجموعة أخرى من اللوحات من وحي وجماليات قصيدته «خربشة جدران» كما أخذت من شربل داغر اللوحة الأخيرة من قصيدته «رشم» ووضعت لها ذات العنوان.

■ مع ذلك قدمت طاهرة فداء أعمالاً تركيبية متميزة ومتطورة؟

■ في ورشة عمل للفنون المعاصرة أقامها الفنان حسن مير عام /2001–2000/ بعد رجوعه من أميركا بأفكار جديدة، طلب الى كل منا أن يقدم ما لديه من أفكار، وكانتْ فكرتي: الى أي درجة يكون الانسان مرهوناً للحظ، هل يستسلم له أم هو يسيطر عليه؟ وبدأنا الحوار كيف نعبر عن هذه الفكرة؟

صنعت صندوقين بلون أسود، الأول فيه أوراق A، والثاني فيه مرآة B، وبينهما خط احمر، يدخل المشاهد الى القاعة فيقال له اختر الصندوق ألف أو باء، فمن اختاروا ألف كانوا فعلاً أشخاصا يسيطر عليهم الحظ، وكان من يفتح الصندوق الثاني يرى مرآة، ومكتوب داخل الصندوق أنت من تعبر عن داخلها المغلق هي، وكيف بدأت تتفاعل معها وتتغير، بالاضافة للتعبير عن الحدث ضمن القصة، وقد استخدمت معطيات بحرية كالقواقع والرمل مع توظيف حروف من اللغات القديمة في تشكيل ثلاثي الأبعاد وبتقنيات خاصة جداً. وللملاحظة فهذه القصة قد أنتجت فيلماً أميركياً بعنوان «الرسالة الضائعة».

هذه الأعمال شجعتني للبحث ضمن الأدب، نفذت عملا تركيبيا كاملا لقصيدة نزار قباني «كلمات ليست كالكلمات» حيث يرى الكل كلمات لكنه لا يفهم منها شيئاً، وقدمت مجموعة أخرى من اللوحات من وحي وجماليات قصيدته «خربشة جدران» كما أخذت من شربل داغر اللوحة الأخيرة من قصيدته «رشم» ووضعت لها ذات العنوان.

■ مع ذلك قدمت طاهرة فداء أعمالاً تركيبية متميزة ومتطورة؟

■ في ورشة عمل للفنون المعاصرة أقامها الفنان حسن مير عام /2001–2000/ بعد رجوعه من أميركا بأفكار جديدة، طلب الى كل منا أن يقدم ما لديه من أفكار، وكانتْ فكرتي: الى أي درجة يكون الانسان مرهوناً للحظ، هل يستسلم له أم هو يسيطر عليه؟ وبدأنا الحوار كيف نعبر عن هذه الفكرة؟

صنعت صندوقين بلون أسود، الأول فيه أوراق A، والثاني فيه مرآة B، وبينهما خط احمر، يدخل المشاهد الى القاعة فيقال له اختر الصندوق ألف أو باء، فمن اختاروا ألف كانوا فعلاً أشخاصا يسيطر عليهم الحظ، وكان من يفتح الصندوق الثاني يرى مرآة، ومكتوب داخل الصندوق أنت من

طاهرة فداء (القدس العربي)

عملان للفنانة (القدس العربي)

الأشخاص الذين لا يؤمنون بالحظ كثيراً، وانما تقرأه لمجرّد التسلية، وقد وضعنا دفتر لكتابة الانطباعات والملاحظات، والمدهش أنّ الجميع من فتح الصندوق الأول أو الثاني أكدوا في ملاحظاتهم صحة الاختيار. وقد اكتشفت في ذاتي القدرة على تقديم عمل مفاهيمي جيّد.

الفكرة الثانية كانت الشغل على قامات بيئية تثير اهتمامنا، وقد اخترت كل ماله علاقة بالكمبيوتر، الكيس، المزر، الدسك، الماوس، والـCD، فجمعتهم في تشكيل خاص مع مجسّم أو شكل للعقل البشري، في اشارة الى اعتماد العقل البشري الآن في كل شيء على التكنولوجيا، من أبسط عملية حسابية الى أعقد تصميم علمي.

لكن الجائزة التي أعتز بها كثيراً في هذا المجال، حصلت عليها العام الماضي من وزارة التراث، وهي جائزة الأعمال الصغيرة، حيث قدمت عملا تركيبيا بعنوان «أنا محتار» يعبر عن قلق الانسان المعاصر ازاء ما يتعرّض له من ضغوط اجتماعية واقتصادية، تدفعه للتردد ازاء نمط الحياة الذي يختاره، هل يسير وراء الحياة ويخسر مبادئه؟ أم يدافع عن تلك المبادئ ولو خسر الكثير من الامتيازات؟

في هذا العمل أحسست بقدرة على التعبير عن نفسي أكثر من خلال الأعمال التركيبية والأعمال المفاهيمية، ولديّ طموح للاتجاه مستقبلاً الى عروض الفيديو.

تداعيات

عاشوراء بين معينين

حسني ابو المعالي*

■ في ستينيات القرن الماضي كان قد تناهى الى سمعي، وأنا ما زلت صبياً، خبر مفاده بأن القنصلية البريطانية في كربلاء توزع الأكفان للمتطوعين في مواكب التطبير بشكل مجاني في ليلة العاشر من محرم، والتطبير، هو تقليد سنوي يمارس في اطار ذكرى مقتل الامام الحسين، ويتمثل بضرب الرؤوس والأجساد بالآلات الحادة كالسيوف والسكاكين الى أن تسيل الدماء وذلك حبا بالامام الحسين، حسب ظنهم وتكفيرا لذنب اقترفه الأجداد الذين خذلوا الامام في حربه ضد الباطل، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما علاقة القنصلية البريطانية بالامام الحسين عليه السلام ؟ وبصيغة أخرى ما مدى عمق تعاطف الغرب مع المسلمين بشكل عام وبالشيعة بشكل خاص؟ لم يتسن لداركي يومئذ أن تطرح تساؤلات كهذه أو أن تجيب عليها، ولكن الجواب تبلور وتجسد بمرور الزمن عبر اجترار مجتمعاتنا قيم التخلف على حساب قيم التحضر وتشبثها بالظلام بدلا من النور وتكريسها للوضاعة بعيدا عن الرفعة والسمو، وهذا ما كانت تريده الادارة البريطانية من أجل أن تبعد المجتمعات الاسلامية عن مواكبة التطور الحضاري الذي تعيشه معظم الدول المتقدمة.

ان هذا الموروث الغريب في مظهره وفي محتواه لم تتبنه سوى فئة ضالة من المسلمين، أو بالأحرى فئة لم تستوعب ماهية الاسلام فبالغت في حب الامام الحسين بطريقة مشوهة، لا يقبلها العقل ولا المنطق، لأن الاحتفاء بهذه الطريقة الدموية لا يمثل سوى مظهر من مظاهر التخلف والاستسلام، وهو ما يتنافى مع ما جاء به الامام من أفكار ثورية نبيلة فقد كان الحسين «ع» ثائرا وصامدا وليس مهزوما، لهذا لا بد من أن يجد المسلمون صيغا جديدة ـ للاحتفاء بعاشوراء ـ تليق بمقام الحسين عليه السلام، وبدائل تنسجم مع عظمة شخصية البطل المدافع عن الحق والانسان بعيدا عن المازوخية وجلد الذات.

يبدو ان طقوس عاشوراء في مظهرها الدرامي والدامي لها تاريخ طويل يمتد الى مئات السنين ولم يجرؤ أحد على الوقوف عندها الا أحد أحفاد الحسين وهو زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي صرخ معترضا عليها حيث قال: «المفرط في حبنا كالمفرط في بغضنا». ومن منطلق هذه العبارة الحكيمة التي قطعت الشك باليقين بأن أهل البيت لم يقبلوا هذه الطقوس ولن يتقبلوا الشعائر المبالغ فيها، لهذا فان الاحتفاء فخرا وبطريقة حضارية من أجل الحسين، عليه السلام، في ذكرى استشهاده خير من الحزن عليه بطريقة بشعة، فالبكاء والحزن يلغيان عنه صفة الشجاعة، ويجعلاننا نتعامل مع الحدث التاريخي بالعاطفة بعيدا عن العقل، فالحسين عليه السلام لم يكن متخاذلا، و لم يقف يوما ذليلا أمام قوى الظلم في العهد الأموي وانما كان مقداما ونبيلا وثائرا ما يجعلنا نفخر بمواقفه كمسلمين ونعتز بها ونعلي من شأنها بما ينسجم ومقام الامام الحسين العظيم، لا أن نعتبره مسكينا يثير فينا الشفقة كما صورته ـ على مدى مئات السنين ـ وما زالت تصوره المواكب الحسينية في العراق وبعض البلدان التي يوجد فيها الحضور الشيعي.

لا أحد ينكر الوضع المأساوي الذي ارتبط باستشهاد الامام الحسين وبعض من أفراد عائلته وأصحابه لكنه ضحى بنفسه من أجل مبادئ وقيم انسانية أخلاقية سامية بعد معركة باسلة أبلى فيها بلاء حسنا وأثبت شجاعة نادرة يستحق معها خلودا انسانيا نادرا، ولا بد اذن من أن نرقى بالاحتفاء بذكراه الى مستوى تلك المبادئ، بالكلمة المعبرة شعرا وخطابة وباللون لوحة وبالدراما مسرحية.

في سابقة فريدة ورائعة احتفلت وزارة الثقافة العراقية العام الماضي بذكرى يوم الطف بطريقة مختلفة ولكنها عظيمة وذلك من خلال اقامة معرض تشكيلي شارك فيه أكثر من ثلاثين فنانا تشكيليا عراقيا واستلهموا من ذلك الحدث البطولي أجمل المعاني الانسانية في الايثار والتضحية والدفاع عن الحق وترجموها ألوانا وأشكالا فنية في لوحاتهم عبر أساليب مختلفة ومن أجل تكريس هذه البادرة لتصبح ظاهرة على الصعيد الوطني لا بد من مناشدة بقية الوزارات بأن تحذو حذو وزارة الثقافة ليس فقط على صعيد المعارض الفنية واللوحات وانما تجتهد أكثر لتأخذ بعدا أوسع على العطاء في ممارسة النشاطات الفنية والفعاليات الثقافية لتشمل المسرح والشعر والخطابة وحتى الموسيقى في اطارها الروحاني الجميل، من أجل أن تكون بدائل موضوعية عن الممارسات ـ الدموية ـ التي تقشعر لها الأبدان وتشمئز منها النفوس، كالتطبير والزنجيل واللطمية.. الخ من مشاهد الدماء والسيوف و الأيفان التي تعودنا على حب الدماء أكثر مما تدفعنا الى حب الامام، فالتعود على الدم لا يجلب لنا سوى المزيد من الدماء وكيف لا ونحن نفتح أعيننا على المشاهد الدموية سنوات منذ طفولتنا، ولهذا فان تلك الأساليب اذ تبعدنا عن مفهوم الحب الحقيقي الذي يتجسد عبر الأساليب الحضارية والتعامل الانساني الجميل مع الناس تكاد تنسينا أن الدين هو المعاملة.

لا بد من الاشارة بأن ليس كل ما يقام من شعائر في الذكرى السنوية لعاشوراء ينضوي تحت مشاهد العنف والدماء فهناك فعاليات ووسائل متعددة ومختلفة اكثر انسانية وأجمل أسلوبا واقرب ذوقا للقبول، تلك التي يتظاهر فيها الطلبة و كذلك سدنة الروضة الحسينية و العباسية في موكب جميل ورائع، وهم يحملون الشموع في مشهد يبعث على الخشوع ويكرس القيم الجمالية التي نحن بأمس الحاجة اليها فالله جميل ويحب الجمال.

وفي رأيي ان ما كان يحصل وما يزال من مشاهد دموية في ذكرى «الطف» هو خطأ شائع، وقد يكون الخطأ الشائع في اللغة مقبولا ولكن الأخطاء الاجتماعية تكون غير مقبولة عندما تمتد جذورها في السلوك الانساني وتصبح عادة تضر بالعبادة، عند ذاك يدق ناقوس الخطر الاجتماعي ويكون السكوت عنها جريمة في حق تلك الشعوب فالحسين كان نموذجا فريدا لمدرسة رائعة في الحق وكان داعية الى الله ومصلحا على طريقة الأنبياء، وعندما وضع أمام خيارين بين الموت والحياة اختار الموت الكريم على الحياة الذليلة وخرج بوجه من يريد له الذل صارخا:

«والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل وان العيش مع الظالمين برما».

أتساءل: أنبكي رجلا تمتع بتلك الصفات وبرصيده تلك الأفكار والمواقف؟ أعتقد بأننا يجب أن نبكي أنفسنا في ظل تمزقنا وخلافاتنا ونبكي حالنا ووضعنا المتردي ونحن نقاتل بعضنا البعض كعراقيين ومسلمين نبكي بؤسنا وبؤس بعض قادتنا من المسلمين الذين تخاذلوا وتمسكوا بالهزيمة بدل الانتصار، قادة لا يفكرون سوى بمصالحهم وهم يحرضون شعوبهم على حرب أهلية بين الأخوة عندما يفقدون امتيازاتهم السلطوية بدل محاولاتهم لحاصرة الأزمة وامتصاصها بالطرق السلمية، ان مثل هذه التقاليد والعادات في اطار تلك المشاهد المروعة حقا، مع احترامي لمشاعر العامة من الناس، انما تكرس نوعا من الجهل والتخلف اللذين لا علاقة لهما بالاسلام، والغريب أيضا أن نجد معظم علماء الدين المسلمين لا رأي لهم في كل ما يجري في عاشوراء سلبا أو ايجابا، وكأن الموضوع لا يعنيهم ولا يمت لهم بصلة، ولهذا أهيب بكل الشرفاء والمخلصين من العراقيين الذين يهمهم أمر الوطن والاسلام بأن يحثوا أحباب الحسين ويرشدوهم عبر جميع وسائل الاعلام الى بديل أفضل يرقى الى مستوى حب الامام الحسين و ينسجم ومقامه ويتناسب وحجم التضحية الكبيرة التي قدمها مع أصحابه الميامين في سبيل الاسلام والمسلمين من جهة وبما يتلاءم مع الألفية الثالثة التي ندخلها من بابها الواسع ونحن في زمن الانفتاح على العالم.

* فنان تشكيلي من العراق يقيم في الرباط

مجلة «ألف»: عدد خاص عن أدب الرحلة

القاهرة ـ «القدس العربي»:

صدر العدد السنوي 26 ـ 2006 من المجلة الأكاديمية (ألف) والتي تصدر عن الجامعة الامريكية بالقاهرة وتنشر مقالات مكتوبة باللغة العربية والإنكليزية والفرنسية وتتبع نظام التحكيم التخصصي المتعارف عليه في الدوريات الأكاديمية، وتشرف عليها فريال جبوري عزول.

وقد تم تخصيص هذا العدد لموضوع الرحلة (شهوة الترحال: أدب الرحلة في مصر والشرق الأوسط) حيث حفل بمواضيع ثرية نظرية وتطبيقية أصيلة لنقاد أكاديميين وباحثين خبروا الموضوع من جوانب مختلفة.

يقع العدد في 528 صفحة موزعة على قسمين اثنين، القسم العربي وساهم فيه جون رودنبك، شعيب حليفي، عبد الرحيم مؤذن، سيزاقاسم، مديحة دوس، محمد بريري، عصام بهي، سعيد الوكيل، وليد الخشاب، وليد منير وفخري صالح.

أما القسم الثاني الإنكليزي والفرنسي فقد افتتح بحوار مع جون رودنبك ثم مقالات لكل من مايكل هاج، سحر صبحي مارانعمان، تيرينس والز، سارة سيرايت، ماليز راثفن، فدوى جمال، ج. د. جونز، نبيل مطر، هاشم فودة.

جاء في افتتاحية العدد قيام المساهمين بتحليل نصوص رحلات من مختلف العصور والأماكن، مع التركيز على أدب الرحلة في الوطن العربي، أو في نصوص رحالة عرب إلى مناطق أخرى من العالم، فهناك في هذا العدد دراسات عن الرحالة والرحلات، الرحلة الصوفية والتجوال السياحي، رحلات مكتوبة في القرون الوسطى وفي القرن الثامن عشر، الرحلة في مطلع القرن العشرين عبر استكشاف بغداد بمقالات مصورة واستكشاف جنوب افريقيا بيوميات مسافرة...

الى زكريا محمد:

عن أمسية بلا جمهور كتبها زياد خداش ذات مساء

عبد السلام العطاري *

■ «كانوا في خليل السكاكيني أكثر من جمهور، وأقرب الى الموج، من أعالي بحر ملّ غناء قبطان أضاع بوصلته، فجاء على وعد دون وعد ، فكان الصوت يلاقح، صدى الأشياء... فهل تجزع اذا كان قنديل حارس السور مطفأ!» ع. العطاري

ربما من يقرأ دون ضجيج حتما سيقول، اغريقي يراود يونانية، ويحمل شعاع الشمس ليجعل قلبها يخفق بتوهج حرارته، أو كنعاني يركب موج البحر يتسلل الى سواحله الشمالية لموعد فينيقية تركت دميتها في سريرها الحجري لعلها تنوب عنها في نومها، أو فلسطيني يتقافز كقطاة ما بين وادي الجلزون وتلال رام الله، أو سيقول هذا زياد خداش أعرفه كعادته في موسم اقتراب المدارس وصخب التلاميذ ومشاكستهم ومعاكستهم لكل حيز التنوع عن خداش، وخاصة بعد ماراثون طويل من قلة الرواتب ومن صمود أسطوري يمارسه الفلسطيني من اجل ان يبقى وزير على رأس وزارته وليت هذا الصمود من اجل تحرير الأرض والانسان، أو تحرير الانسان، والأرض بقية تأتي ان أبقى منها جدار القضم والهضم شيئا.

وأنا... حين اقرأ مرة أخرى ما كتب خداش بشتى أنواع الضجيج الضارب تحت نافذة مكتبي في الخامس من عمارة الارسال.. والضجيج الضارب في الأول من عمق المأساة، وفي الأخير الضارب من الصمود الأسطوري لاحتياجات (تيمائي) وثلاثة يحيطونها بقسوة كونها الأجمل حين تلثغ نافرة من عبثهم في كراريسها ودميتها التي تتسلق جدران الصغر أو تنزلق الى مدى طفولي تحرقه تصريحات التخوين، وفي آخر الأخير من الصمود أمام القهر المتدفق من اجل بقائهم بلا استثناء نجوم فضائيات غيبتهم حرب البتول الأخيرة ،لا من اجل شيء آخر.. كلها تجعلني انتشي طربا على رقصة فرح مجنونة يمارسها زياد خداش حين يغلق كل نوافذ وأبواب الهم ويوصد قلاع النشوة في وجه النكد.

وأخيرا اعرف مدى الجنون حين اعرف ان خداش سعيد جدا اذا حصل على شربة ماء لا كما يقول زجاجة عصير أو ما يرغب أن يهذي به، وهنا اعلم مدى العقل وجحيمه حين يتمطى قمة هرم عقل زياد... سألني صديق أبله مني بسنوات، متى يبدأ الجنون؟

قلت عند عبد الرحمن منيف، هو «ان بدايته نعرفها أما نهايته فلا يعلمها الاّ الله».

في ليل من أيامنا المتهالكة لا تعني سوانا

* كتب خداش عن شاعرة كان منبرها فضاء السكاكيني، وجمهورها زكريا محمد وهو، وكذلك بعض من صخب حفيف الأشجار، فكانت تلك الكلمات التي ذكرتها أو أكثر من ذلك... لم يعد الشيء الكثير يفقد حجم الأشياء الصغيرة.

* كاتب من فلسطين